

## الإحتلال البريطاني للعراق دراسة في تطوره السياسي (١٩١٧\_١٩٢٧م)

أ.م. الدكتور محمد عبد الله كاكه سور  
جامعة صلاح الدين / كلية الآداب

### المخلص:

يتناول هذا البحث مرحلة مهمة من تاريخ العراق<sup>(١)</sup> الحديث، ألا وهي مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق منذ ١٩١٧م، عندما دخل البريطانيون بغداد بقيادة الجنرال ستانلي مود وأعلنوا احتلالهم للعراق. ويلاحظ ان تاريخ العراق المعاصر يتوافق مع هذا الحدث المؤثر. لذلك فأن فهم هذا الاحتلال ودوافعه وموقف الشعب العراقي منه مهم جداً لفهم التاريخ العراقي في مراحلها اللاحقة. ويبين كذلك فهم الآخرين للعراق وشعبه وكيفية تعاملهم معه. وبعد مرور قرن من الزمن على هذا الحدث فأن إعادة دراسته له أهمية خاصة وبصورة عامة وان كان تحدي الاحتلال كبيراً بالنسبة للعراقيين فان الاستجابة لهذا التحدي كان عظيمياً حيث أثبت بأنه لا يمكن حكم العراقيين بصورة مباشرة. إن البحث الذي قمت بكتابته وبتوفيق من الله عز وجل يبدأ قبل فترة الاحتلال المباشر فقد تناولت في بدايته وقوع العراق في نفوذ الدولة العثمانية وأوضاعه تحت سيطرة العثمانيين وأهمية العراق الاستراتيجية وكذلك المعاهدات التي جرت بين الحكومتين العراقية والبريطانية، وأثر ذلك على كردستان الحلم ويختتم البحث بدور المقاومة وإنهاء الاحتلال البريطاني في ثورة العشرين التي كان للكرد نصيب فيها ضمن حركة التحرر الكردية ولا أجزم بأن البحث قد نال مرحلة الكمال، لأن الكمال لله عز وجل وحده ولكن أدعوا أن يكون قد نال رضا الله ومن يقرأه، والله الموفق.

### **British occupation of Iraq study in its political development (1917- 1927)**

**Dr. Mohamed Abdullah Kaka Sur**

**University of Salahuddin / College of Arts**

#### Abstract

Occupation of Britain has had a significant impact on the history of Iraq. Even after the establishment of the Iraqi state in 1921 and the effects of this occupation existed. On this basis, one of the historians used the term Iraq - British royal rule in the period. So, important to know what are the historical factors which led to Britain occupy Iraq, beyond the historical trend of the state and the fundamental changes which led to the establishment of the Iraqi state. In this study, entitled (the historical reasons for the occupation of Iraq, Britain to study the political development between the years 1917 to 1920). Which ensures the number of vertical axes, the first axis looking for strategic importance of Iraq and the situation in Iraq under the leadership of the Ottoman Empire. The second axis tells Britain's occupation of Iraq, the third axis either looking for agreements made between Iraq and Britain the first, second and third. The fourth axis looking for challenging the Iraqis against the British occupation and private revolted in 1920, including the role of the Kurds in this revolution. In fact, with the reasons for strategic and economic, historical factors have had an important role in the occupation of Iraq with the causes and factors which mentioned were overlapping, Baghdad was the capital of Iraq through the stories of One Thousand and One Nights was written in the West and known Babylon was one of the oldest cities, which have been mentioned in Holy book by the West, so intertwined historical importance Wares in the cause of Britain's occupation of Iraq.

## المبحث الأول/ المصالح البريطانية في العراق:

إن توجه بريطانيا نحو احتلال العراق، كان لعوامل استراتيجية تخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، ونوضح هنا المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تتمثل في العوامل والأسباب الحقيقية وراء احتلال بريطانيا للعراق.

## المصالح الاقتصادية:

يرجع نشوؤها إلى سنة ١٦٣٥م عندما وصلت أول سفينة بريطانية إلى ميناء البصرة<sup>(٢)</sup>، وفي ١٧٣٣ فتح البريطانيون مقيمة دائمة لهم في المدينة المذكورة، لتشرّف على مصالحهم فيها، وقد أدى قيام الثورة الصناعية في أوروبا أواخر القرن الثامن عشر إلى زيادة الصادرات البريطانية زيادة كبيرة مما دعا للبحث عن أسواق لتصريفها، فضلاً عن ذلك فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩م، أدى إلى تقصير طرق المواصلات بين الشرق والغرب، وتقليل كلفة النقل البحري، واختصار المدة اللازمة لوصول البضائع إلى الأسواق، أي نستطيع القول أن فتح قناة السويس أدى إلى ربط العراق بالسوق العالمية<sup>(٣)</sup>. وقد كان العراق مصدراً مهماً للمواد الخام للصناعات البريطانية وفي نفس الوقت سوق لتصريف البضائع البريطانية، وقد كان أكبر تعامل العراق مع دولة أجنبية مع بريطانيا من ناحية الاستيراد والتصدير، وجدير بالذكر العراق بلد غني بالماء والزراعة والمواد الخام والمعادن فيما بعد.

كان العراق إلى جانب كونه سوقاً للبضائع البريطانية، طريقاً تمرّ به البضائع إلى إيران. وقد أسست في العراق فروعاً لمصارف بريطانية عديدة، لتسهيل المتاجرة، واستثمار رؤوس الأموال البريطانية. وقد ساهمت تلك المصارف في تسهيل التعامل المالي، فكان في العراق فرع للمصرف العثماني برؤوس أموال بريطانية وفرنسية. ولأكتشاف منابع غزيرة للنفط في الموصل وبغداد وكون العراق طريقاً تجارياً يخدم التجارة والاقتصاد الإنكليزي سعى البريطانيون لأحتلاله<sup>(٤)</sup>.

## المصالح السياسية والعسكرية:

اهتمت بريطانيا بالمحافظة على طرق مواصلاتها في الشرق ولاسيما الهند فووقت بوجه المنافسة البرتغالية والهولندية والفرنسية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومن هنا جاءت مصالحها العسكرية والسياسية في العراق والخليج العربي.

لقد أضاف تقدم الملاحة النهرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر أهمية جديدة للعراق إذ حاولت بريطانيا استخدام نهر الفرات في المواصلات بين البحر المتوسط والخليج العربي، فعمدت سنة ١٨٣٤ إلى إرسال الكابتن فرنسيس رودن جزني؛ ليقوم بمسح نهري دجلة والفرات، فقام

بمسح الفرات وأنزل فيه باخرتين سميت الأولى دجلة والأخرى الفرات وغرقت دجلة وبقيت الفرات مواصلة رحلتها الى البصرة وكان الهدف من ذلك معرفة مدى صلاحية نهر الفرات للملاحة. أهم نقطة في الاستراتيجية هي في مطلع القرن العشرين اكتشاف النفط في عبادان وهو من جملة الاسباب التي تدرعت بها بريطانيا لاحتلال البصرة.

في سنة ١٨٦١م حصل هنري لينج من العثمانيين على حق تسير باخرة في المياه العراقية<sup>(٥)</sup>. وكان لأسرة لينج دورا مهما وبارزا في تثبيت المصالح البريطانية في العراق نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين<sup>(٦)</sup>. وكذلك كان لأهمية العراق الاستراتيجية أنه يمثل رغبة بريطانيا في ايجاد خطوط برقية تربطها بالهند.

### تبعية العراق للدولة العثمانية:

بعد انتصار السلطان سليم الاول على الفرس في موقعة جالديران ١٥١٤م، أزدادت أحلامه بالسيطرة على جميع الأمصار الخاضعة لسيطرة الفرس ومنها العراق، فأمر القائد العسكري العثماني فرهاد باشا بالاستيلاء على شمال العراق وحصل ذلك سنة ١٥١٥م عندما قام سليمان القانوني بأحتلال بغداد ١٥٣٤م وفرض الحكم العثماني عليها، وجعلها تابعة للدولة العثمانية في اسطنبول<sup>(٧)</sup>. استمر حكم العثمانيين ليس العراق فقط وانما الوطن العربي ومن ضمنه العراق اربعة قرون تقريبا، كان العراق تابعا للدولة العثمانية في اسطنبول خلالها، وتناوب على حكم العراق ولاية كثيرون منهم المصلح والمفسد والظالم ولم يفترق الظلم عن السياسة العثمانية تجاه الشعب العراقي إلا في عهد مدحت باشا في النصف الأخير من الاحتلال العثماني للعراق<sup>(٨)</sup>.

واجه الحكم العثماني للعراق سخطاً شعبياً وغضباً كبيراً؛ نتيجة الإهمال والسلب والنهب لثروات البلاد والضرائب الباهضة وانتشار الأمية وابعاد الرموز الوطنية أو قتلهم وتفشي البطالة، وعوامل كثيرة جعلت الشعب ينتفض ضد العثمانيين في محاولة شجاعة للتخلص من الاحتلال العثماني. في عام ١٨٣٢م قام المفتي عبدالغني آل جميل بأول انتفاضة ضد الوالي العثماني في بغداد ومن الأسباب المباشرة لهذه الثورة هي مطالبة رجال الحكومة بالكف عن الأعمال الوحشية ولاساءة للناس ولكن الوالي لم يستجب له.

بقى العراق تابعا للدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما أنهزمت الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا وانتصار دول الوفاق بريطانيا وروسيا وفرنسا، صارت كالرجل المريض الذي دنا موته، ويريد أعداؤه اقتسام ثرواته وممتلكاته، فوضعت بريطانيا عينها على العراق الذي بدأ الاحتلال البريطاني للعراق في يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤م وحتى عام ١٩١٨م أكمل الاحتلال البريطاني للعراق في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨م عندما رفع العلم البريطاني

على مدينة الموصل وإنهاء تبعيته للدولة العثمانية سنة ١٩١٧م عندما دخل ستانلي مود بغداد من دون مقاومة تذكر، ودخول العراق تحت تبعية المملكة المتحدة البريطانية<sup>(٩)</sup>.

### الأحوال العامة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

كان العراق في هذه الفترة تابعا للإمبراطورية العثمانية، وتعدّ هذه الفترة أفضل الفترات التي مرّ بها العراق تحت السيطرة العثمانية؛ وذلك بعد تولي المصلح العثماني مدحت باشا حكم العراق وكان من أفضل من حكم العراق في فترة الحكم العثماني له<sup>(١٠)</sup>.

انجز هذا الوالي عددا من الإصلاحات، في مجال الإدارة والاقتصاد وأبرز ما قام به إصدار نظام الطابو الذي كان يهدف إلى حلّ المشكلة العشائرية. وأيضا قام بإعادة فتح الشركة الحكومية ( الإدارة العثمانية النهريّة ). وفي مجال التعليم أسس عددا من المدارس الدينية، وكذلك قام بتأسيس المدرسة الرشدية العسكرية، وقد قبل فيها التلاميذ المتخرجين من المدارس الدينية، ومدارس في مجال الصناعة. وكذلك أولى مدحت باشا عناية بالصحافة وأمور الطباعة، فأنشأ أول صحيفة في العراق وأسماها الزوراء، وأسس أول مطبعة حكومية، وقام ببناء مدينتي الرمادي والناصرية، وقام بتطبيق التجنيد الإلزامي.

إن الأحوال العامة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان أفضل فترة مرّ بها العراق في ظل الاحتلال العثماني وتبعيته لحكومة اسطنبول<sup>(١١)</sup>.

تعد فترة الاحتلال العثماني للعراق ١٥٣٤م بغداد، ١٥٤٦م البصرة أسوأ فترة مرّ بها تاريخ العراق الحديث أثر الاحتلال المغولي للعراق ١٢٥٨م، فقد ساءت الأحوال العامة وتفشى الفساد وانتشرت الأمية والمرض ولم تقدم الدولة العثمانية أي نوع من الخدمات ولاسيما الصحية والتعليمية وإنما كان تأكيد العثمانيين على استحصال الضريبة وتجنيد العراقيين في الجيش العثماني، أما بقية الخدمات فكانت تعدها الدولة العثمانية من اختصاص السكان.

### المبحث الثاني/ بداية الاحتلال البريطاني للعراق:

أدركت بريطانيا - عندما تعرض نفوذها في شبه القارة الهندية للخطر، بسبب حروب الثورة الفرنسية، وغزو نابليون لمصر ١٧٩٨م، وتهديده طرق المواصلات البريطانية للشرق - بأهمية الخليج العربي السوقية ورأت فيه منذ ذلك الوقت طريقا مهما لسلامة إمبراطوريتها في الهند، فأخذت تحاول بسط نفوذها السياسي عليه. وكان طبيعيا أن يتسلل الاستعمار البريطاني إلى العراق بحكم موقعه على طريق الهند<sup>(١٢)</sup>.

وفي سنة ١٩١٤م أرسلت بريطانيا الجيش الإنكليزي بسفنه للبصرة وقامت بأحتلالها<sup>(١٣)</sup> وتوجهت بعد ذلك إلى بغداد لكنها فوجئت بالجيش العثماني الذي كان ينتظرها في الكوت، فألحق العثمانيون بالإنكليز في الكوت هزيمة كبرى، وعادت القوات البريطانية المهزومة إلى البصرة، وقام الأتراك بأسر قائد الجيش البريطاني الجنرال طاووزند قائد القوات البريطانية في معركة الكوت، ولكن ذلك لم يشن بريطانيا من إحتلال العراق، فأرسلت حملة جديدة لأحتلال بغداد بقيادة ستانلي مود **Sir Stanley Mude**، ونجح هذا الرجل بأحتلالها من دون أيّ مقاومة تذكر، وكان ذلك بداية الإحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٧، وقال مقولته الشهيرة (ايها العراقيون لقد عبرنا البحار، ورأينا وسمعنا عن جورالاتراك وقبلهم التتار، جئنا الى بلادكم محررين ولسنا فاتحين) ولكن البريطانيين لم يكونوا محررين بل محتلين وخير دليل على ذلك هو قيام ثورة العشرين ضدّهم بعد ثلاث سنوات، وهكذا كانت بداية الإحتلال البريطاني للعراق<sup>(١٤)</sup>.

### حصار الكوت:

لقد دام حصار الكوت من اوائل كانون الاول ١٩١٥ الى اواخر نيسان ١٩١٦ اي حوالي خمسة أشهر ١٤٧ يوم.

### بداية الحصار:

حشد العميد نورالدين باشا القائد العثماني في معركة كوت مجموعة هائلة من المدافع، ادراكا منه بأنه يجب عليه أن يخضع حاميتها قبل أن يقوم بإرسال سفنه حول امتداد النهر الطويل المستدير حيث تقبع الحامية وكأنها معلقة فوقه. وعلى أية حال، وكمحاوله لخداع طاووزند، قام أولاً بإرسال رسالة إليه يدعوه فيها إلى الاستسلام. رفض طاووزند الاستسلام وكان ذلك بداية تفجر الغضب التركي، بدأ الأتراك بقصف المعسكر البريطاني بقذائف الهاون والمدافع الثقيلة، وألحقوا بالإنكليز خسائراً فادحة وتراكت المصائب عليهم، قلة الأرزاق والمجاعة التي بدأت تغزو معسكراتهم. كان طاووزند الضابط الذكي المحبوب والمغرور يصفه أصدقاؤه على استعداد لان يعترف بضراوة الموقف ولان نور الدين جاد فيما يقوله ولكنه لم يعد قادرا على تدبر الأمر مما يعني انهيار الاحلام البريطانية في الوصول الى بغداد واكتمال احتلال العراق.

### الهجمات الأولى للأتراك:

بدأ الأتراك بقصف الكوت بضراوة أكثر من أي وقت آخر، حتى المستشفيات لم تسلم من القصف، رأى طاووزند بأن جنوده غير راغبين بالتصدي للعدو، وأنهم صاروا يحتمون بالبيوت بدلا من أن يكونوا في خنادقهم، استخدم الأتراك أسلحة محرمة وركزوا أيضاً على قتل العراقيين حتى ينتفض هؤلاء ضد الإنكليز الذين يحتمون في ديارهم، لتكون الأمور أكثر سوءا لطاووزند وجنوده،

وليواجه إلى جانب الأتراك هيجان شعبي وغضب عارم، وكان جنوده في إحباط نفسي كبير وشعور باليأس، فمنهم من استسلم ومنهم من قتل نفسه، ومنهم من قطع اطرافه لينقل للمستشفى، مما كان ذلك بداية للانهايار البريطاني في شوارع الكوت<sup>(١٥)</sup>.

### فشل المحاولات لفك الحصار على الكوت وهزيمة الإنكليز:

إن كل المحاولات التي اصطنعها الإنكليز لفك الحصار على الكوت قد فشلت فالقوة التركية الضاربة والتدهور في الجانب الإنكليزي بكل جوانبه العسكرية والمعنوية جعلت كل محاولات الإنكليز تفشل في فك الحصار، وبعد أن كان الإنكليز ينتظرون أوامر أيلمر **Aylmer** بشن الهجوم الكاسح فوجئوا ببرقيته التي يؤكد فيها عدم وصول الامدادات إلى الكوت مما يعني أن طاووزند يجب أن يواجه أمرا بما لديه من قوة أو الاستسلام لنور الدين هذا الأمر يرى طاووزند أصعب من الموت في ساحة المعركة.

أصر طاووزند على دخول معركة غير متكافئة بين جيشه والأتراك وحدثت المعارك الضارية في الكوت، وأخيرا جاءت كلمة الفصل وانتصر الأتراك في المعركة وبقيت الكوت تحت نفوذهم أما طاووزند فقد آلت نهايته أن يقع أسيرا بيد الجيش التركي ولكن البريطانيون استطاعوا السيطرة عليها في هجوم آخر، ولتبدأ مرحلة جديدة بالتوجه نحو بغداد وتكليف الجنرال ستانلي مود بالمهمة التي فشل بها طاووزند<sup>(١٦)</sup>.

### احتلال بغداد:

عندما أوكلت مهمة احتلال بغداد ١٩١٧ للجنرال ستانلي مود استطاع هذا الرجل وبخبرته التي تعدت فوهات البنادق من استغلال الظروف التي تواجه العثمانيين وضع سيطرتهم العسكرية وانتشار الانهيار والتقسيم في دولتهم والسخط العراقي عليهم فكان انتشار الفقر والمرض والبطالة والأمية والظلم والاضطهاد أكثر الأمور انتشارا في تلك الفترة، ووردت أنباء من البريطانيون في البصرة بأنهم بدأوا بتنفيذ بعض الاصلاحات هناك وكذلك تحسين الظروف المعاشية في المدينة جعلت العراقيين يرون بالانكليز المنقذ والمخلص مما ألحقته السياسة العثمانية من ضرر كبير للعراق وأبنائه<sup>(١٧)</sup>. إلى جانب ذلك لم يكن هناك جيش قادر على مواجهة القوة الإنكليزية، فأكثر القوات العثمانية كانت قد واجهت البريطانيون<sup>(١٨)</sup>.

وهزمتهم في الكوت لكنها غير قادرة على مواجهة قوة جديدة خصوصا بعد اقالة نور الدين الذي كان يقود الجيش العثماني في الكوت وتفشي الفساد والخيانة في الجيش العثماني.

قام ستانلي مود بتقسيم الجيش إلى قسمين، الأول اتجه إلى بغداد محاذة دجلة والقسم الآخر اتجه إلى بغداد أيضاً محاذة الفرات وقد أثمرت هذه الخطة في وصول الجيش البريطاني إلى بغداد أواخر نيسان عام ١٩١٧ والاحتلال البريطاني لبغداد فجر يوم ١١ آذار ١٩١٧ بيد الإنكليز من دون أي مقاومة تذكر<sup>(١٩)</sup>.

### المبحث الثالث/ المقاومة العراقية للاحتلال البريطاني:

ثورة العشرين:

إن الشعب العراقي حاله حال الدول العربية الأخرى، كان يرى أن المقاومة السبيل الوحيد للتخلص من الاحتلال بعد أن خابت السياسة والمفاوضات والمعاهدات في إنهاء الاحتلال البريطاني للعراق، وعندما قامت ثورة تموز ١٩١٩ في مصر وثورة ١٩٢٠ في سوريا قامت ثورة ١٩٢٠ في العراق مما يؤكد عمق الصلات القومية العربية، ولاسيما أن عام ١٩٢٠ هو عام الثورات العربية في الوطن العربي<sup>(٢٠)</sup>، فضلا عن أن المجتمع العراقي كان بحد ذاته يحتل موقعا مهما في شعوره القومي العربي حتى أن بعضاً من شعارات الثورة بعد اشتعالها كانت تعكس بوضوح المنطلقات الثورية وتخطي الثورة فكريا لنظامها القطري، ويمكن لنا اعتبار طعن بريطانيا للأمال العربية في الوحدة سببا رئيسا من أسباب الثورة يدعمه تدهور الأحوال الاقتصادية لمجموع أبناء الشعب وبرز جماعة اثرت على حساب فقر الشعب وجوعه، سوء النظام الاداري والاستخفاف بمشاعر العراقيين وهذه كلها كانت بسبب الاحتلال البريطاني لذلك كان لابد من الثورة. على الرغم من أن البريطانيين منحوا رؤساء العشائر عددا من الامتيازات مثل المساعدات المالية والاعفاء من الضرائب والتصديق على ملكيتهم الخاصة للاراضي التي كانت في السابق ملكية عامة مشتركة للعشيرة<sup>(٢١)</sup>. إلا أن المجاعة انتشرت في بغداد ومدن اخرى وتلتها انتشار أمراض الطاعون والكوليرا والتيفوئيد نتيجة الجوع والفقر<sup>(٢٢)</sup>.

أهم ماتميزت به الثورة في مقاومة الاحتلال :

- ١- إن الثورة كانت خاضعة لقيادات مركزية في مناطق متعددة من العراق وكان هناك تنسيق دائم فيما بينها.
- ٢- تنظيم الادارة بصورة تخدم مبادئ الثورة وإلغاء الأنظمة الموالية للبريطانيين من المناطق المحررة.
- ٣- لم تكن الثورة معتمدة على الفكر القطري بل كانت ثورة قومية وغايتها تحرير البلاد من براثن الاحتلال.

٤- الاعلام المكثف الذي تميزت به الثورة كتأسيس الصحف المناهضة للاحتلال.

الاتصال بالکرد للتعاون<sup>(٢٣)</sup> وهناك اراء مختلفة حول طبيعة مشاركة ودور الكرد في ثورة العشرين<sup>(٢٤)</sup>.

### أهمية الثورة وعوامل فشلها:

العمالة والولاء للانكليز واليأس من انتصار الثورة، ولاسيما لدى شيوخ العشائر وزعماء القبائل الذين تربطهم مصالح مع الانكليز.. عدم تكافؤ الطرفين من الجوانب الاقتصادية والفنية والعسكرية ونقص الوحدة والزعامة الفعالة<sup>(٢٥)</sup> والوعود البريطانية المربكة للعقل كلها أدت الى فشل الثورة.

رغم فشلها إلا أن لها أهمية كبيرة في إحداث تطور في الحياة السياسية وبذرت بذور النهضة العربية التقدمية بعد أن جسدت اطارها القومي وبعد أن تفاعلت مع جذور هذه النهضة في داخل الانسان في العراق.

كانت ثورة العشرين قاعدة في مجرى التحرك التحرري فهي وأن عجزت عن تحقيق الاستقلال الكامل والجلء النهائي للاستعمار في العراق فقد حققت من الجانب الاخر ادخال العراق في مرحلة النهوض الثوري حيث وضعت على طرق جديدة من العمل والتفكير ووحدت كلمة العراقيين وألفت بينهم واثبتت لهم عمليا قيمة اتحادهم في صراعهم ضد السلطات المحتلة.

إنها كشفت عن نضج سياسي سواء في بياناتها أو مراسلاتها او ادارتها لبعض المدن التي صارت تحت سيطرتها وكشفت عن قابليات عسكرية كانت موضع اعجاب العدو ذاته.

اثبتت الثورة للبريطانيين صعوبة حكم العراق حكما عسكريا مباشرا وعززت نظرية فريق من الساسة الإنكليز القائلين بوجود إقامة حكومة وطنية في العراق تشرف عليها الحكومة البريطانية وتوجه سياساتها<sup>(٢٦)</sup>.

اثبت ثورة العشرين بانه لايمكن حكم العراق بصورة مباشرة من قبل البريطانيين كما فعلوا في الهند بالحديد والنار لذلك بدل الحكم المباشر لجأوا إلى الحكم الوطني في العراق مع محاولة ضمان مصالحهم قدر الامكان. وكذلك أكد على تأثر العراق بمحيطه العربي من الثورة العربية الكبرى في الحجاز ١٩١٦ و ثورة ١٩١٩ في مصر.



## المبحث الرابع/ المعاهدات العراقية البريطانية:

## المعاهدة الأولى:

كان بين وجهة النظر البريطانية ووجهة النظر العراقية واد سحيق يتعذر اجتيازه دون تضحية من أحد الجانبين، فبريطانيا كانت تريد أن تصوغ صك انتدابها في قالب معاهدة تحفظ لهم فيها كافة الامتيازات وحقوق الاحتلال بأقل كلفة وأدنى معارضة<sup>(٢٧)</sup>. جاءت بالملك فيصل مع محاولة الحفاظ على المصالح البريطانية قدر الامكان. هذا إلى أن للإنكليز مهارة معروفة في صياغة المعاهدات حيث يطلون عناوينها بلون براق، أما الحكومة العراقية؛ فكانت تريد أن تحل معاهدة الانتداب، وأن تعين صلاتها بالحكومة البريطانية على أساس حلف بين دولتين متكافئتين. الحكومة البريطانية لم تقبل بذلك وقدمت المعاهدة بشكل يبقي الانتداب ويقوي دعائمه مما أدى الى هيجان شعبي كبير ورفض قاطع لها، وان أغلب الأحزاب العاملة في العراق (الحزب الوطني وحزب النهضة) رفضتها وقدمت رفضها بشكل رسمي إلى ملك العراق المعين بريطانيا.

ونتيجة لذلك الضغط الشعبي قدم فيصل ملك العراق مطالب الشعب لمندوب بريطانيا السامي برسي كوكس وأنه لا يستطيع الوقوف بوجه هذا المدّ الغاصب، ولخصت مطالب الشعب من قبل قادة الحركة الوطنية في برقية الى الملك فيصل تلخصت بأربعة نقاط كالاتي:

أولاً: رفض الإنتداب وإعلان حكومة بريطانيا العظمى بإلغائه رسمياً.

ثانياً: إسقاط أية وزارة تصدق معاهدة غير مرضية للأمة وتعيين وزارة وطنية ترتاح الأمة بأعمالها.

ثالثاً: اطلاق حرية الصحافة.

رابعاً: طرد المستشارين البريطانيين.

التوقيع على المعاهدة:

أمر الملك بإستقالة الوزارة النقيببة الثانية تشكلت في ٢٠ ايلول ١٩٢٢م واستقالت في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ واستقال الوزراء وبقي النقيب في رئاسة الحكومة، وبعد ضغط الملك عليه استقال النقيب بعد ثلاثة أيام من استقالة وزارته<sup>(٢٨)</sup>.

كان الملك يريد ايجاد وزارة تضع المعاهدة مع الإنكليز بشيء يخدم مصالح الأمة العراقية الا أن الإنكليز لم يكونوا يرغبون بغير النقيب، وسارعوا بتشكيل الأحزاب لدعم النقيب، وبعد فترة قصيرة اجبرت الاقدار الملك فيصل إلى إعادة النقيب، إلى رئاسة الحكومة وتم بذلك نجاح البريطانيين الذين اعتقدوا ان النقيب سيوقع لهم المعاهدة على ما يريدون. وانتصرت إرادة الملك وبالفعل تم توقيع

المعاهدة في ١٠/١٠/١٩٢٢. وبعد توقيع المعاهدة أصدرت الوزارة بيان استقالته في ١٦/١١ من السنة نفسها، بعد إكمال مهمتها التي أرادت تحقيقها، وصدر بيان ملكي عراقي يؤكد توقيع المعاهدة بين الحكومتين العراقية والبريطانية، وهكذا دخل العراق فصلا جديدا من فصول الانتداب البريطاني. المعاهدة الثانية:

أعدت الحكومة البريطانية مسودة جديدة لتمديد أمر المعاهدة إلى ٢٥ سنة، وبعثت بها إلى معتمدها في بغداد، وهو يومئذ سير هنري دويس، ليرفعها إلى الحكومة العراقية. لما علمت الحكومة العراقية بأمر المعاهدة استنقلت منها واتخذ مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ٢٩/١٢/١٩٢٥ القرار الآتي :

أولاً: إن المعاهدة العراقية الإنكليزية تحتوي اسس دولية تهم عصبة الامم المحافظة عليها، فإذا دخل العراق عصبة الامم لاضير في تمديد أجل المعاهدة إلى ٢٥ سنة.

ثانياً: إن تصرح حكومة بريطانيا في الاتفاقية الخاصة بأنها ستسعى لادخال العراق في عصبة الامم خلال الأربع سنوات القادمة التي هي مدة المعاهدة الحالية، كما ورد في المادة السادسة منها، وإذا رفضت عصبة الامم ذلك فعليها أن تقدم ذلك كل أربع سنوات مرة، وتسعى لادخاله وتأييد مطالبه تجاه عصبة الأمم للدخول فيها خلال مدة المعاهدة الجديدة<sup>(٢٩)</sup>.

إن بريطانيا لم تقبل بشروط الحكومة العراقية ووضعت أمام الملك اختيار أحد الأمرين وهما :

● قبول التمديد الذي وضعته بريطانيا.

● التنازل عن الموصل للأتراك.

أما شروط الحكومة العراقية فأن بريطانيا غير ملزمة أو مستعدة لتطبيقها كما جاء على لسان المعتمد البريطاني السير هنري دويس في ٤/١٢/١٩٢٦.

كان عدد المخالفين لهذه المعاهدة ١٨ نائبا منهم ياسين الهاشمي ونصرت الفارسي ومحمود رامز. وكان عدد المتغيبين عن الجلسة التي عقدت فيها المعاهدة عشرة نواب منهم سلمان المنشد وموحان خير الله واحمد مختار. وكان عدد الموافقين على المعاهدة ٥٨ نائبا منهم علي السليمان الدليم وابراهيم يوسف وحمد الباجه جي وداود النقيب ورئيس الحكومة آنذاك عبد المحسن السعدون.

## إدخال العراق عصبة الامم:

في قرار عصبة الأمم في ١٦/١٢/١٩٣٢ جاء في فقرته الثانية أن المجلس يدعو إلى أن تعرض الحكومة البريطانية معاهدة جديدة مع العراق تقرر بأستمرار الأنتداب لمدة ٢٥ سنة. ويهنا هنا أن نلفت النظر إلى قرار عصبة الأمم، بوجوب استمرار الانتداب لمدة ٢٥ سنة، جاء مستندا إلى الفقرة الاولى من قرار لجنة الحدود الأمامية المذكورة سابقا، وبصرف النظر عن تأثير النفوذ البريطاني في توجيه التحقيق المختص بالاكرد فإن النفوذ البريطاني في طلب هذه اللجنة للتمديد كان متأثرا بزعمها أنه ( في حالة ما، اذا انتهت مراقبة عصبة الامم، بعد انتهاء السنوات الاربع التي ابرمت عليها المعاهدة العراقية البريطانية، ولم يعط الاكرد تعهدا بجعل ادارة محلية لهم، فإن معظم الاهلين يفضلون الاتراك على حكم العرب).

إن جميع هذه الحجج والحجج الأخرى التي تغطت بها بريطانيا لإبقاء الأنتداب على العراق وتحقق لها ما ارادت وتم توقيع المعاهدة بين الطرفين ( العراق - بريطانيا ) على المعاهدة الجديدة وسط اعتراف عصبة الامم بها<sup>(٣٠)</sup>. وذهب أحد الباحثين بتسمية العراق بالعراق البريطاني في العهد الملكي<sup>(٣١)</sup> على الرغم من اننا لانؤيده في ذلك ولكن يبين تأثير بريطانيا على العراق في تلك المدة.

## المعاهدة الثالثة:

كان جعفر العسكري قد غادر ميناء (دوفر) على ظهر الباخرة شامبليون الفرنسية في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٧ فبلغ الاسكندرية في ٥ كانون الأول من السنة نفسها، فلما تلقى برقية الملك استقل الباخرة (لامرتين) الفرنسية في اليوم نفسه، وعاد إلى لندن فبلغها في الـ ١٢ منه ووقع على المعاهدة في اليوم الرابع عشر وعاد إلى بغداد<sup>(٣٢)</sup>.

إن المعاهدة الجديدة لم يتم تنفيذ شيء منها فالإنكليز لم يكونوا راغبين بعقد أية معاهدة بعد التعديل الذي طرأ على معاهدة عام ١٩٢٢ في عام معاهدة ١٩٢٦ وانهم يرون عدم حلول الوقت الذي يمكن فيه للعراق أن يعقد معاهدة جديدة، فلما أصر العراق على لزوم تحقيق مطالبه المشروعة، وافقوا على عقد معاهدة لاتفوق سابقتها إلا ببعض التفاصيل البسيطة.

فلما وجدوا أن السعدون لا يميل إلى عقد معاهدة، كونها لاتختلف عن التي وضعت من قبل، أبدوا موافقتهم على عدم الأخذ بمعاهدة ١٩٢٧ إذا صرح العراق بذلك في أي وقت قبل الابرام<sup>(٣٣)</sup>.

أما الجانب العراقي فكان يرى على لسان السعدون رئيس الحكومة أن المعاهدة المذكورة لم تأت بشيء مفيد مؤثر في تحسين الحالة السياسية وفضل عدم عرضها على عصبة الأمم.

## نصوص وتعليق المعاهدات:

## أولاً/ نص:

لما كانت دول الحلفاء الرئيسة التي تنازلت تركيا لها عن حقوقها في العراق، قد اتفقت على تنفيذ الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم فيما يخص الاعتراف بالعراق كدولة مستقلة، بشرط أن يقدم لها منتدب المشورة الادارية والمساعدة حتى تتمكن من الوقوف منفردة. (( من المعاهدة الأولى ))

التعليق: (هذه الفقرة تؤكد على انتداب العراق وتعين مستشارا ظاهريا حاكما باطنا يقوم بتشريع الاوامر وتقوم الحكومة العراقية بتنفيذها على وفق ما لا يتعارض مع مصالح بريطانيا العظمى).

## ثانياً/ نص:

إن الاحكام الواردة في المادة ١٨ من المعاهدة المنعقدة بين البلدين والموقعة في بغداد في تشرين الأول - ١٩٢٢ وفي البروتوكول الموقع في بغداد في ٣٠/٤/١٩٢٣ يبغي العمل بالمعاهدة لمدة ٢٥ سنة وابتداء من ١٩٢٥/١٢/٢٦م، مالم يصبح العراق عضوا في مجلس عصبة الامم قبل انقضاء المدة المذكورة وعدم التقيد بالموعد الذي حدد في المعاهدة الاولى لانتهاء الانتداب. ((من المعاهدة الثانية))

التعليق: (ان المعاهدة الثانية جاءت مشابهة للأولى، لم يأت فيها شيئاً جديداً يفيد الشعب العراقي المسكين ولا يعطي لحكومته الاستقلال المنشود ولكن جاءت لتكرس الانتداب البريطاني وتعطيه الوقت الكافي لسلب ونهب واستغلال العراق أمام تواطؤ وغفلة من حكومته المغلوبة على أمرها).

## ثالثاً/ نص:

يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالعراق كدولة مستقلة ذات سيادة. ((من المعاهدة الثالثة))

التعليق: هذه المعاهدة كما نعرف لم يتم العمل بها لأنها تهدد الانتداب البريطاني للعراق<sup>(٣٤)</sup>.

ومن الملاحظ لنا كاكتراد وسط هذه المعاهدات ان الكرد كان الخاسر الأكبر من الاحتلال البريطاني للعراق ومن المعاهدات التي مهدت لنشوء الدولة العراقية وسبق لسايكس بيكو وسيفر ولوزان أن غمطت حقوق الكرد وكان للاحتلال البريطاني في بعض أهدافه تدمير مشاريع الكرد كما فعلوا مع الشيخ محمود الحفيد رحمه الله تعالى برحمته<sup>(٣٥)</sup>.

## الخاتمة:

كانت عملية احتلال العراق من بريطانيا سنة ١٩١٧ وما تلاها من توطيد للاحتلال والاستعمار البريطاني في العراق وتكوين المعاهدات الضامنة للمحتل سياسة وإدارة احدى أهم مراحل التاريخ العراقي الحديث والمعاصر للأهمية الكبيرة التي يحتلها العراق في السياسة البريطانية. وتكفل ذلك من بعد بقيام الدولة العراقية وتأسيس المملكة سنة ١٩٢١ التي ساهمت ثورة العشرين في تعزيزها بناء واداء في آن واحد.

وكان الكرد هم الخاسر الأكبر من الاحتلال البريطاني للعراق؛ لانهم قسموا بين سايكس بيكو وسيفر ولوزان وتمت عملية تدمير كردستان الكبرى ورغم مساهمة الكرد في ثورة العشرين مساهمة غير مباشرة إلا أن العلاقة بينهم وبين باقي المكونات استمرت بالتحول إلى واد الاحلام التحريرية الوطنية وذلك جزء من تداعيات الاحتلال البريطاني للعراق وهو ما حللناه استنادا لما تقدم. ولكن من جانب آخر أدى الاحتلال البريطاني للعراق إلى تأسيس دولة العراق وتطور العراق بالموازنة مع وضعه السابق من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتحويل اسم العراق من اسم جغرافي واداري الى اسم دولة لأول مرة في التاريخ حيث كانت الدول الموجودة على أرض العراق الحالي فيما سبق بأسماء أخرى.

وكان لذلك الاحتلال أثر في الجوار ايضاً، ولاسيما الدولة العثمانية التي انبثقت عنها تركيا الحديثة وكذلك أثر على ايران.

## الهوامش والمصادر:

- (<sup>١</sup>) هناك آراء كثيرة حول اصل ومعنى العراق: ينظر: سالم الآلوسي، اسماء العراق وبغداد، بيروت، الوراق للنشر، ٢٠١٣، ص ص ٩-١٧٤.
- (<sup>٢</sup>) لمزيد من المعلومات عن البصرة ينظر: حسين بن سعدون، البصرة ذات الوشاحين (التاريخ والسياسة والثقافة) ٢٥٠٠ ق م - ١٩١٤م، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦، ص ص ١٧-٤٠٦.
- (<sup>٣</sup>) صالح خضر محمد الدليمي، المصالح الاستراتيجية البريطانية في العراق، ١٨٠٠ - ١٩١٤، عن مجموعة باحثين، المفصل في تاريخ العراق المعاصر، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٢، ص ١٦.
- (<sup>٤</sup>) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ج ٢، ص ٥.
- (<sup>٥</sup>) انستاس ماري الكرمللي، خلاصة تاريخ العراق، بيروت، الوراق للنشر، ٢٠١٢، ص ٢٦٨.
- (<sup>٦</sup>) عبد الرزاق محمود، العرب في ظل التبعية العثمانية، ج ١، دار المنار للنشر ١٩٨٧ لبنان: ص ٦٥.
- (<sup>٧</sup>) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (<sup>٨</sup>) محمود احمد عزت البياتي، بناء دولة العراق الفرص الضائعة، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠١٣، ص ٢٠.
- (<sup>٩</sup>) هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٧٦.
- (<sup>١٠</sup>) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص ٨٨ وما بعدها.
- (<sup>١١</sup>) حسين هادي الشلاه، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢، ص ٣٠-٣١.
- (<sup>١٢</sup>) إبراهيم خليل أحمد و الدكتور جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩، ص ٩.
- (<sup>١٣</sup>) وميض جمال عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، الجمهورية العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص ٥٩.
- (<sup>١٤</sup>) إبراهيم خليل أحمد و الدكتور جعفر عباس حميدي، كتاب منهجي، المصدر السابق، ص ٩-١٥.
- (<sup>١٥</sup>) رسل برادون، حصار الكوت، ترجمة: سليم التكريتي، مكتبة دار احياء التراث العربي - ج ١، ص ص ٢٦١-٢٦٥.
- (<sup>١٦</sup>) رسل برادون، المصدر السابق، ص ١٢٥.

- (١٧) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص ٢١١.
- (١٨) هادي طعمة، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية دراسة الحملة الدعائية البريطانية ١٩١٤-١٩٢١، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤، ص ٤٠.
- (١٩) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٢ وما بعدها؛ عبد الرزاق محمود، العرب في ظل التبعية العثمانية، ج ١، دار المنار للنشر ١٩٨٧ لبنان، ص ٢٣١. راجع ابراهيم خليل احمد، جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، ص ١٤.
- (٢٠) ناصر الحمداني، ثورة العشرين المقاومة العراقية، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦، ص ٥٩ وما بعدها.
- (٢١) وليام بولك، لكي نفهم العراق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦، ص ٣٩-٤٠.
- (٢٢) ل.ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة الدكتور عبدالواحد كرم، بغداد، مطبعة الديواني، ١٩٨٥، ص ١١٣-١١٤.
- (٢٣) عبدالاله توفيق الفكيكي، البدايات الخاطئة قراءة جديدة في تاريخ العراق السياسي الحديث، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠١١، ص ١٨٢-١٨٩.
- (٢٤) لمزيد من المعلومات ينظر: الدكتور كمال مظهر أحمد، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٧٨، ص ٣-١٧١؛ د. كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، بغداد، مطبعة الزمان، ١٩٧٧، ص ٧١-٨٠؛ مذكرات دبليو آر هي، حاكم اربيل السياسي في كردستان أيام الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٢٠، نقله الى العربية فؤاد جميل، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨، ص ٣١٧-٣٦١.
- (٢٥) حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، بيروت، العارف للمطبوعات، ٢٠١٣، ص ١٥٤.
- (٢٦) محمد صالح حنيور الزبيدي، الحكومة العراقية المؤقتة (٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ - ٩ أيلول ١٩٢١) دراسة تاريخية في واقعها الاداري، دمشق، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص ٤٩-٦١؛ ناصر الحمداني، المصدر السابق، ص ٢٣١.
- (٢٧) عبد الرزاق الحسني، العراق في المعاهدات، ط ٦، مطبعة دار الكواكبي، بيروت ١٩٨٣، ص ٧٧.
- (٢٨) عبد الرزاق الحسني، العراق في المعاهدات، المصدر السابق، ص ٩٩.
- (٢٩) رجاء حسين حسني، تأسيس الجيش العراقي، ط ٢، ١٩٨٢، دار واسط للنشر، ص ٢٤٥.
- (٣٠) رجاء حسين حسني، المصدر السابق، ص ٦٧.

- (٣١) حسن العلوي، العراق الأمريكي، لندن، دار الزوراء، ٢٠٠٥، ص ٢٥.
- (٣٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص ٢٠٩.
- (٣٣) عبد الرزاق محمود، العرب في ظل التبعية العثمانية، ج ١، دار المنار للنشر ١٩٨٧ لبنان، ص ٨٩ وما بعدها. للتفصيل ينظر: عبدالرزاق محمود، المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
- (٣٤) راجع فيما تقدم عبد الرزاق محمود، العرب في ظل التبعية العثمانية، ج ١، دار المنار للنشر، ١٩٨٧، لبنان، ص ٢٢٣. للتفصيل ينظر: كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات....، ص ١٢٠.
- (٣٥) برجاء مراجعة كتاب د. كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣. ص ١٢٥.